المؤمن

« المؤمن » : أن تؤمن بوجود الله عز وجل ، يعني أنك لم تفعل شيئاً ، لأن الشيطان نفسه ماذا قال حينما خاطب الله عز وجل ؟ قال : ﴿ربِّ﴾ ، وفي آية أخرى قال : ﴿فبعزتك﴾ ، فعبارة الشيطان تدل على إيمانه بالله ، ومع ذلك فهو رأس الكفر كله ، فأن تؤمن بوجود الله فقط دون أن تتعرف إلى وحدانيته ، إلى ربوبيته ، إلى أُلوهيته ، إلى أسمائه الحسنى ، إلى صفاته الفضلى ، إلى مناحي عظمته ليس كافياً ، أن تؤمن بالله خالقاً وكفى ، ليس كافياً ، فإنَّ ربنا سبحانه وتعالى قال عن المشركين :

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت : ٦١] .

فالمشركون إذاً : يعترفون بأن الله خالق الكون ، ولكنهم يشركون بالله أولاً ، وينكرون البعث ثانياً .

فمن لوازم الإيمان بالله ، أن يتعرف الإنسان إلى أسماء الله الحسنى ، فأحياناً قد تعرف أنّ فلاناً جارٌ لك ، وهذا غير كافٍ ، بل تحب أن تعرف عنه تفصيلات ، كأن تعرف شيئاً عن مستوى علمه ، وشيئاً عن أخلاقه ، عن أعماله ، عن تفوقه ، هذا فيما بين الناس ،

فلا تكون المعرفة صحيحة إلا إذا تضمنت بعض التفاصيل مما يعطيك فكرة واضحة ، إنه من باب أولى أن يكون الإيمان بالله عز وجل أساسه معرفة أسمائه الحسنى وصفاته الفضلى .

والحقيقة الملموسة ؛ أنَّ الكون كله تجسيدٌ وإظهار لأسماء الله الحسنى ، كل أسماء الله تبدو لك من خلال الكون ، أما ذات الله عز وجل فلا نستطيع أن ندركها ، لقول الله عز وجل :

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾

[الأنعام : ١٠٣] .

أن ترى ذات الله أمر مستحيل ، لكنك تستطيع أن تتعرف إلى ذاته من خلال خلقه ، فالكون يدل على المكوِّن ، والنظام يدل على المنظِّم ، والتسيير يدل على المُسيِّر ، والماء يدل على الغدير ، والأقدام تدل على المسير ، والبعر يدل على البعير ، أَفَسماءٌ ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج ، ألا تدلان على الحكيم الخبير ؟

وبعد ، فلماذا يجب أن نعرف الله ؟ كي نعبده ، ولماذا نعبده ؟ كي نسعد بقربه في الدنيا والآخرة ، لأن الله سبحانه وتعالى في الأصل خلقنا ليسعدنا ، ولا نسعد إلا به ، ولا نسعد إلا إذا كان عملنا طيباً ، ولن يكون عملنا طيباً إلا إذا تعرفنا إلى عظمته حقيقةً ، لذلك قال ربنا عز وجل في وصف بَعْضِ أهل النار :

﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة : ٣٣] .

أي يجب أن تعرف عظمة الله ، إن لم تعرف عظمة الله فلابد من أن تخترق حدوده ، ولابد من أن تتجاوز أوامره ، أما إذا عرفت عظمة الله عز وجل عبدته .

فالقضيّة كلها تتلخص في أهمية أن تعرف مَن هو الله ، كي تطيعه ، وتقبل عليه ، وترجو ماعنده ، وتخاف وعيده ، ولن تخاف وعيده ، ولن ترجو ماعنده ، ولن تقبل عليه ، ولن تسعى إليه ، ولن تستسلم لقضائه ، ولن ترضى بحكمه إلا إذا عرفته ، إذا عرفته رضيت بقضائه ، ورأيت حكمةً ما بعدها حكمة ، ورأيت علماً ، ورأيت رحمة ولطفاً وعطفاً وعدلاً ، فكلما عرفته استسلمتَ له ، وأقبلت عليه ، وخضعت له ، وائتمرت بأمره ، وانتهيت عمّا نهى عنه ، أقبلت على عبادته ، وخدمتَ عباده ، فنحن يجب أن نعرف الله ، أما أن يقال فقط : الله خالق الكون ، فهذه معرفة بسيطة لا تقدم ولا تؤخر ، وهذه المعرفة لا تحجزك عن محارم الله ، هذه المعرفة في مجموعها لا تحملك على طاعة الله ، فأن تقول : الله خالق الكون ، ولك مخالفات كثيرة ، وأن تقول : الله خالق الكون ، ولك انحرافات عديدة ، وأن تقول : الله خالق الكون ، ولك طموحات دنيوية مديدة ، فهذه مغالطة صريحة ، أمّا إذا عرفت مَن هو الله ؟ وهذا هو الهدف من هذا البحث ، وأن تزداد معرفتنا بالله يوماً بعد يوم ، لأنه كلما ازدادت هذه المعرفة كلما ازداد الخشوع والطاعة ، والخوف والإقبال ، والاستسلام والرضا ، والانصياع والفداء ، والتضحية والإخلاص ، أيْ : إنّ حجم عملك بحجم معرفتك ، وحجم سعادتك بحجم عملك ، أيْ أنَّ الدين كله يمكن أن يلخص بثلاث كلمات : معرفة ، طاعة ، سعادة ، على قدر معرفتك تطيع الله عز وجل ، وعلى قدر طاعتك تسعد به .

إذاً هذه الأسماء الحسنى لا ينبغي أن نقف عند تعريفاتها الدقيقة فقط ، بل يجب أن نملك عشرات ، بل مئات ، بل ألوف الأدلة

النابعة من الكون على هذه الأسماء ، لذلك فمن علامة معرفتك بالله عز وجل أن ينطلق لسانك في الحديث عن أسمائه ساعات طويلة ، حدِّثنا عن اسم اللطيف ، أو عن اسم الرحيم ، أو عن اسم الملك ، أو عن اسم القدوس ، أو عن اسم السلام ، فالذي أرجوه وأتمناه أن يمارس المسلم بنفسه بحثاً ذاتياً ، وأن تكون له جولات في هذا الكون ليكتشف من هذا الكون الأدلة الناصعة على أسماء الله ، والأولى أن نبقى نجول في كل فترة أو في كل حين مع اسم من أسماء الله الحسنى .

وبعد فلننتقل من هذا البحث إلى اسم آخر من أسماء الله الحسنى ، وهو المؤمن .

إن أيّ ملك من الملوك الأرض لا يرضى أن يلقب أحد أفراد رعيته بلقبه ، وهو من بني البشر ؛ يأكل كما نأكل ، ويشرب كما نشرب ، وينام كما ننام ، وله جسم ، ويعطش ، ويجوع ، ويغضب ، ويثور ، ويمرض ، ويموت ، فلا فرقَ بين الملك وبين أحد رعاياه من حيث التكوين الجسمي ، ومع ذلك تأبى عزته ، ويأبى كبرياؤه أن يُلقب أحد من أفراد رعيته بلقبه ، ولكن الله سبحانه وتعالى سمانا بعد أن عرفناه ، وطبقنا أمره سمانا مؤمنين ، والمؤمنون جمع مؤمن ، وسمى نفسه المؤمن ، وذلك بقوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

لكن هذا الاسم يحتاج إلى وقفة ، الله عز وجل مؤمن ، ولكن مؤمن بماذا ؟ نحن مؤمنون بالله ، ونحن مؤمنون برسول الله ﷺ ،

مؤمنون باليوم الآخر ، فالله عز وجل مؤمن بماذا ؟ قالوا : المؤمن اسم فاعل من فعل أمِنَ يأمن أمناً وأماناً ، فعل « أمن » له معنيان :

المعنى الأول التصديق ، فعندما يقرأ الإمام سورة الفاتحة ، وعند انتهائه يقول المصلون جميعاً : آمين ، أي : يارب نحن نصدق ما قال هذا الإمام ، ونحن معه ، فإما من التصديق وإما من الأمن ، فعل « أمن » إما من التصديق ، وهناك آية تؤكد ذلك قال تعالى :

﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾ [يوسف : ١٧] .

فقوله تعالى ﴿ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ هذا من التصديق ، وإما من المعنى الآخر وهو الأمن ، قال تعالى :

﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴾ [قريش : ٤] .

فاسم الله تعالى المؤمن مأخوذ من التصديق أو من الأمن ؟ وكيف نفهم هذا الاسم بالمعنى الأول ؟

في الحقيقة : إن الإنسان قد يعرف ذاته ، وقد لايعرف ذاته ، فإذا لم يعرف ذاته ، وخاض في شيء ، ولم يكن من مستواه يخسر خسارة كبيرة ، نقول له : لو عرفت ما عندك لما دخلت في هذه الورطة ، فهذا الذي يقدم على شيء ليس في مستواه ، ولا يعرف حقيقة ما عنده فهو يجهل حقيقة إمكاناته ، ولا يعرف ذاته ، لكن هناك من يعرف ذاته حق المعرفة ، فتأتي الأفعال كلها وفق معرفته ، هذا مثل ضربته لكم لتوضيح الحقائق ، فمن أول معاني المؤمن أن الله سبحانه وتعالى يعرف ذاته ، ويعرف أسماءه ، ويعرف كل ماعنده ، وهذا المعنى الأوَّل .

المعنى الثاني : أن الله سبحانه وتعالى يصدق رسله ، بعث النبي محمداً ﷺ رسولاً ، صدقه ، أي : جعل الناس يصدقونه بالمعجزة ، بعث موسى عليه السلام نبياً وصدقه ، أي : جعل الناس يصدقونه بالمعجزة ، أرسل سيدنا عيسى عليه السلام رسولاً فأعطاه معجزة كي يصدقه الناس بها ، إذاً المعنى الثاني الصدق ، أي كل شيء وعد الله به المؤمنين يأتي فعله مصداقاً لوعده ، وعدك بالحياة الطيبة فإذا عشت الحياة الطيبة ، فقد صَدَقك ، بمعنى أن فعله جاء مصداقاً لوعده ، أن يأتي فعل الله ـ عز وجل ـ مصداقاً لوعده يصدق أنبياءه ، أي : يعطيهم الدلائل ، ويجعل الناس يصدقونهم ، يعطي المؤمن دلائل ، أنت أيها الأخ الكريم تقرأ القرآن ما الذي يجعلك تتشبث وتتعلق وتتمسك به ؟ لأن الأحداث التي تعيشها تأتي كلها مصدقة لهذا القرآن ، إذا استقمت في البيع والشراء شعرت براحة ووفر الله لك دخلاً طيباً ، وساق الناس إليك ، وإذا كنت أميناً رفع الله اسمك بين الناس ، فأي وعدٍ وَعَدَك الله به ، فإذا أنت نفّذت ما أنت مأمور به تأتي الحوادث كلها لتصدق لك هذا الوعد ، أو لترى أن هذا الوعد صادقاً ، فمن معاني المؤمن أنه يجعل أنبياءه مُصَدَّقين يدعمهم بالمعجزات ، يجعل قرآنه مُصَدَّقاً ، بمعنى أنك إذا آمنت به وعملت عملاً صالحاً أذاقك الحياة الطيبة ، فما الذي جعلك تصدق كلامه ؟ هذه الحياة الطيبة ، المعيشة الضنك تجعلك تصدق بهذه الآية ، إذا اهتديت بهدى الله عز وجل في كل مناحي حياتك ترى أن الحوادث كلها تصدق ما جاء به القرآن الكريم ، إذاً الله عز وجل مؤمن ، أي : يجعل عباده مُصَدِّقين ، لأن أفعال الله عز وجل كلها تأتي مصداقاً لوعده

ولوعيده ، قال : ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾ [الحج : ٣٨] .

لابد من أن تشعر بأن هناك حالات كثيرة تواجهك فَيُقَيّضُ الله لك إنساناً لا تعرفه يدافع عنك بإلهام من الله عز وجل ، وحينما يقول الله عز وجل :

﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طـه : ١٢٣] .

تشعر أَنَّكَ مهتدٍ ، وأن لك رؤية صحيحة ، وأن لك بصيرة نافذة ، وأن تفسيرك للحوادث صحيح ؛ لأنك اتبعت أمر الله عز وجل فجاءت الحوادث مصداقاً لما قاله الله عز وجل .

وهذا معنى من معاني المؤمن ، والحقيقة كما قلت قبل قليل : إنّ أروع ما في الدين أنه يعطيك تفسيراً للكون والحياة والإنسان ، ومهما عشت ، ومهما تبدلت الظروف ، ومهما ظهرت معطيات جديدة ، ومهما ظهرت أحداث جديدة كلها ضمن تأويل الله عز وجل لهذا الكون والحياة والإنسان ، فأنت حينما تقرأ القرآن لن تُفَاجَأ بحادث لم يرد معك في القرآن ، فلو أَعطيْتَ تفسيراً لظاهرة من الظواهر ، قد تُفاجَأ بعد حين أن هناك حدثاً أبطل نظريتك ، وما أكثر ما جاء العلم بنظريات ، ثم جاءت الحوادث فأبطلتها ، أما إذا قرأت القرآن وهو من عند الله عز وجل لن يأتي حادث يكذب ما قرأت في القرآن ، هذه نقطة دقيقة جداً ، فالقرآن جاء قبل أربعة عشر قرناً ، والعلم تطورَ تطوراً كبيراً جداً ، ومعطيات القرآن صحيحة وثابتة منذ أن خلقت البشرية وإلى ما قبل خمسين عاماً في كِفّة ، ومنذ خمسين عاماً إلى

الآن حدث تطور علمي رهيب جداً تجده في الكفة الأخرى ، ومع كلِّ هذا التطور فليس في العلم حقيقة تخالف هذا القرآن .

معنى ذلك أنك إذا قرأت القرآن تطمئن ، الأمور وحوادث الكون والمجرات والأنواء والنبات والحيوان والإنسان كل هذه الحركات تأتي مصدقة لكلام الله عز وجل ، فالله مؤمن ، أي : كلامه يجعلك تصدقه ، لأن أفعاله تصدق كلامه ، وهذا معنى من معاني المؤمن .

وإليك معنى آخر : هو أن الله سبحانه وتعالى يهب الأمن للإنسان ، كيف ؟ هنا المعنى الدقيق ، فلو أن الحديد تارة يكون قاسياً وتارة يكون ليناً ، فإنك تُنْشِئُ البناء وأنت خائف ، لعل هذا الحديد بعد حين يصبح ليناً فيتداعى البناء ، لقد جعل الله للحديد خصائص ثابتة دائماً ، فإذا وضعت هذا الحديد مع الإسمنت ، وأَشَدْت البناء ، وسكنت في الطابق التاسع مثلاً فإنك تنام مطمئناً ، فما الذي جعلك تطمئن ؟ ثبات صفات الحديد ، ولو أن صفات الحديد تبدلت لانهارَ البناء .

فيمكن أن نقول : ثبات خصائص المواد هو الذي يهب الأمن للناس ، ثبات حركة الأرض ، هذا الجامع شُيد منذ سنوات عديدة ، فلو أن هناك اهتزازاً في أثناء الدوران لكانت كل هذه الأبنية قابلةً لأن تنقض وتنهار ، فالأرض تتحرك بسرعة ٣٠ كيلو متراً بالثانية ، وهناك سكون رهيب ، ومن أجل أن تعرف قيمة السكون الحركي يأتي الزلازل أحياناً على مدينة بأكملها ، ويصبح عاليها سافلها بثوانٍ قليلة ، إذاً حركة الأرض مع سكونها واستقرارها جاءت مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النمل : ٦١] .

أعطاك الأمان ، واشتريت بيتاً في الطابق العاشر ، وتعرف أنه بيت مستقر ، أما لو كان هناك اهتزاز لانعدم الأمن ، ثم إنك لو اشتريت بذوراً تنبت نوعاً من النبات ، ولا تستقيم الحياة لو لم يكنْ في الأرض ثبات ، وقمت بزراعة البطيخ مثلاً ، وكان الإنتاج بندورة لاختلطت الأمور ، وفسدت الحياة ، فثبات البذور حيث كل بذر له خصائِصُهُ نِعمة ومِنّة وأمان .

هناك شيء آخر غير الثبات ، فهناك آلاف الأنواع لكل نبات : هذا النوع إنتاجه مديد ، وهذا النوع إنتاجه مبكر ، وهذا النوع إنتاجه صناعي ، وهذا النوع للنقل ، وهذا للاستهلاك ، وهذا للمائدة ، أما هذا فإنه يقاوم أمراضاً معينة . . . فحتى البذر نفسه له خصائص والخصائص ثابتة ، فما الذي يهبك الأمن وأنت تزرع ؟ ثبات الخصائص .

إذاً يمكن أن نقول : إن ثبات خصائص المواد هو الذي يهب الإنسان الأمن ، الشمس تشرق دائماً من الشرق فليس في شروقها مفاجآت ، وليس لها دعاء شروق ، يارب الشمس لم تظهر اليوم أظهرها لنا! طمأنك ، الشمس دائماً تشرق ، ودائماً تغيب ، والأرض دائماً تدور ، ويكفي أن تأخذ ورقة من التقويم وأن تقرأ : الفجر الساعة الخامسة وثماني عشرةَ دقيقة والشمس تشرق الساعة السادسة وثلاثين دقيقة ، هذه الحقيقة في التقويم منذ متى ؟ منذ خمسة وستين عاماً ولمئة سنة قادمة ، ولألف سنة قادمة ، ولمئة ألف سنة قادمة ،

إلى أن تنتهي الدنيا ، دقة مابعدها دقة على مستوى الدقائق والثواني .

أرض بأكملها تدور حول الشمس ، وهناك نجوم تضبط عليها الساعات الشهيرة في العالم « بيغ بن » ، يقول القائل : ضبطت ساعتي على ساعة « بيغ بن » ، فإذا كانت هذه الساعات التي في أيدينا تضبطها على هذه الساعة الشهيرة « بيغ بن » ، لكن هذه الساعة الشهيرة كيف تضبطها ؟ تضبط على حركة المجرَّة .

إذاً ثبات الدوران ، ثبات السرعة ، ثبات الحركة ، ثبات الزاوية ، هذا يعطي الإنسان النظام الثابت يجعل فيه الأمن ، إذاً من الممكن أن نقول : صفات المواد الحديدية ثابتة ، شخص اشترى سواراً ذهبياً ودفع ثمنه عشرين ألفاً ، بعد فترة تبدل نوع المعدن أصبح معدناً خسيساً ، واللهِ هذه مشكلة ، لكن الذهب ذهب على الدوام ، ومثله في الثبات الحديد حديد ، والفضة فضة ، والقصدير قصدير ، والألمنيوم ألمنيوم ، ثبات صفات المعادن هذه تهب الأمن للإنسان ، وهذه نعمة لا نعرفها نحن لأنها مألوفة ، لذلك يقولون : شدة القرب حجاب ؛ لأن هذه النعمة مألوفة جداً ، كأنها لم تكن مع أنها نعمة عظيمة .

من أسماء الله عز وجل « المؤمن » فهو « المؤمن » إذا قرأت كتابه جاءت الحوادث كلها مصداقاً لكلامه ، ومؤمن يهب الأمن للإنسان عن طريق ثبات صفات المواد .

ثبات الأنظمة ، قانون الحركة ثابتة ، التمدد ثابت ، قوانين الجسم كذلك ثابتة ، فأنت تجد طبيباً في آخر الدنيا يصنع دواءً يستعمل في طرف آخر من أطراف الدنيا ، هذا الدواء يؤثر في الجسد حيثما كان ،

ما معنى ذلك ؟ أي : إنّ كل أجساد بني آدم من بنية واحدة ، فهناك أمن وأمان . مثلاً ؛ القلب ؛ تجد طبيباً ذهب إلى أمريكا درس عن القلب ، فلو ذهب إلى إفريقية ، إلى آسيا ، إلى أستراليا ، إلى أوروبة ، إلى أي مكان في العالم وفتح قلباً وجد شراينه وأعصابه ومراكزه الكهربائية كلها بدقة تامة ، هذا الثبات يكفي أن تُشَرِّح إنساناً واحداً ، فكل إنسان إذا عالجته تكون بنيته وأعصابه وأوردته وشراينه وعضلاته وفق هذا الأُنموذج ، ومع هذا أيضاً ثباتُ الأنظمةِ ، وثباتُ خصائصِ المواد ، فأحياناً يجعل الله عز وجل للمواد مضادات ، فالنار محرقة ، والماء يُطفىء النار ، أي : أعطاك لكل شيء خَطِرٍ ما يقضي على خطره ، وهذا يطَّردُ في كل شيء ، في الأدوية ـ مثلاً ـ هناك وباء نباتي فله أدوية بإمكانها أن تقضي على هذا العنكبوت أو على هذا الفطر أو على هذه الحشرة ، فالله عز وجل من أسمائه المؤمن ، لأنه يهب الأمن للإنسان .

الألم سماه العلماء جهاز إنذار مبكر ، فالإنسان يتلف سنه جزئياً فيتألم ألماً شديداً فيذهب إلى الطبيب فيصون هذه السن ، لو لم يكن هناك عصب يصاب لما أحس الإنسان بالألم ، ولما كانت هناك وقاية لهذا السن ، إذاً الألم من أجهزة الإنذار المبكر ، فكل خطر من أخطار الدنيا جعل الله له وقاية .

إذا استعان الإنسان بالله عز وجل يقيه من زلات المعاصي ، لقوله تعالى :

﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة : ٥] .

لذلك قال وهيب بن الورد : « والله لو أن السماء من نحاس

والأرض من رصاص واهتممت برزقي لظننت أني مشرك » ، والحقيقة لو أردت أن ترى الفرق الجوهري بين حياة المؤمن وحياة غير المؤمن ، لوجدت أن الصفة الأساسية المميزة الأمن ، قال تعالى :

﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[الأنعام : ٨١].

تجد قلوبَ أهل الدنيا فارغة ، عرضة للمخاوف ، عرضة للمقلقات ، عرضة للذعر ، لتوقع المصيبة ، لكن ربنا عز وجل إذا آمنت به ملأ قلبك اطمئناناً ، ملأ قلبك استقراراً ، ملأ قلبك رضا بقضائه ، ملأ قلبك معرفة بكماله ، هذا كله من أسماء المؤمن .

وهناك أمر آخر : كيف تأمن عذاب الله في الآخرة ؟ لقد أعطاك الكون ، وأعطاك العقل ، وأعطاك الفطرة ، وأعطاك الشهوة ، وأعطاك الاختيار ، وأعطاك القوة ، وهذه كلها مقومات النجاة في الآخرة ، تشعر أن الله عز وجل إذا أقبلت عليه تأمن القلق ، وتأمن المرض ، وتأمن الضيق ، وتأمن التعب ، وتأمن الخوف ، فالله سبحانه وتعالى مصدر أمنٍ وأمانٍ للبشر ، بعض الجهات تُقْلِقك ، ولكن من شأن اسم الله المؤمن ، أنك إذا فوضت أمرك إليه ، واتبعت أمره ونهيه فأنت في أمن وسلام ، فهذا المعنى الذي يليق بالله عز وجل فيما يتعلق بالمؤمن .

عن الأحنف بن قيس أنه قال : قال الخليل بن أحمد : « **الناس أربعة : رجل يدري ويدري أنه يدري فذاك عالم فخذوا عنه . ورجل يدري وهو لا يدري أنه يدري فذاك ناس فذكروه . ورجل لا يدري وهو يدري أنه يدري فذاك طالب فعلموه ، ورجل لا يدري وهو**

لا يدري أنه لا يدري فذاك أحمق فارفضوه » .

أنا أختار منهم من يدري ويدري أنه يدري أنّ اللهَ عز وجل مؤمن .

والمعنى الثاني من التصديق : أي شيء وعدك الله سبحانه وتعالى به في القرآن فزوال الكون أهون على الله من أن تأتي الأحداث مخالفة لما وعدك به ، وعدك بالنصر ، والنصر واقع لا محالة ، .وعدك أن يدافع عنك ، وعدك أن يحفظك ، وعدك أن يرزقك ، وعدك أن يطمئنك ، وعدك بالأمن ، وعدك بالتمكين ، وعدك بتمكين دينك ، وعدك بالاستخلاف ، وعدك أن يكون معك .

المعنى الثالث : أنه يهب الأمن ، وبشكل بسيط نذكر العين ، فإذا قدت مركبتك في النهار تشعر بأنك مطمئن ، لأن مدى الرؤية بعيد جداً ، أما في الليل فيوجد الانبهار والأضواء فتشعر بقلق ، فالقيادة في الليل يرافقها القلق ، وفيها مفاجآت ، فالضوء الموجود في المركبة لا يكشف كل شيء ، ومداه محدود ، فكلما كانت الرؤية أطول كان الأمن أكثر ، إذاً ، فالله سبحانه أعطاك العين كي ترى طريقك ، كما أعطاك الأذن ، فإذا وجدت حركة في الليل فالأذن تكشفها ، فالسمع المرهف أحد وسائل الأمان ، العين إحدى وسائل الأمان ، وكذلك الشم ، فإذا أصدر الطعام رائحة كريهة فمعنى هذا أن الطعام فاسد ، فجعل الأنف فوق الفم كي يحصل لك الأمن الغذائي ، أعطاك يداً تدفع بها الضر ، أعطاك رِجلاً تنتقل بها من مكان إلى آخر ، هذه كلها لتحقق الأمن لك ، وهذا معنى آخر من معاني المؤمن .

والحقيقة أننا بعد كل بحث لابد من أن نسأل أنفسنا هذا السؤال ، يارب ، أنت المؤمن ، وأنا ما علاقتي بهذا الاسم ؟ أنت المؤمن فكل

الحوادث وكل الأفعال جاءت مصداقاً لقرآنك ، شيءٌ مريح لي ويؤكد علاقتي بالله المؤمن ، وهذا معنى أول .

والشيء الثاني وهبتني الأمن يارب ، وهبتنا الحواس ، وهبتنا الأجهزة ، ثبات خصائص المواد وثبات الأنظمة كلها وسائل أمان تؤكد سلامة علاقتي بالله المؤمن أيضاً .

قال لي طبيب قلبٍ : لو كان قلب إنسان نحو اليمين وقلب إنسان آخر نحو اليسار وقلب بمكان آخر لالتبسَت الأمور علينا ، درس هذا الطبيب القلب بأمريكا ، وعرف أن مكانه نحو اليسار ، وعند إجراء العملية لأحد المرضى وجد القلب على اليمين هذه واقعة لم يدرسها لأنها شاذة ! بينما للبشر كلهم بِنْيَةٌ واحدة حتى على مستوى الأعصاب الدقيقة جداً ، وهذا يعطينا قدراً كبيراً من الأمن ، وكما قلت قبل قليل عن الأرض : وإنّ دورتها حول نفسها وحول الشمس ثابت ، شروقها وغروبها ثابت ، لكنّ الأمطار لم يجعلها ثابتة ، بل جعلها متبدلة ، هذا من أجل ألا ننساه ، من أجل أن نصلي له ، من أجل أن نتوب إليه من ذنوبنا ، ربنا عز وجل ثَبَّتَ أشياء وحرك أشياء ، ثَبَّت دورة الأرض حول نفسها ودورتها حول الشمس ، وثبَّت الشروق والغروب ، وثبَّت القمر ، وثبَّت الأنظمة والبذور والخصائص والبنى ، هذه كلها ثبتها ، وجعل الرزق بيده ، فجعل الرزق وسيلة كي تعود إليه ، وكي تقبل عليه ، وكي تتوب إليه من ذنبك ، هذا معنى جليل ، جدير فهمه .

أنت مؤمن : فأول شيء يجب عليك أن تفعله أن تأتي أفعالك كلها مصداقاً لأقوالك ، فلا يليق بك أن يكون لديك ازدواجية ،

ولا أن يكون عندك شيء داخلي ، وشيء خارجي ، وشيء تعتقده ، وشيء تقوله بعكسه ، فهذا اهتزاز واضطراب في نفسك وسلوكك ، وربنا عز وجل يقول :

﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام : ١٢٠] .

ظاهرك الذي يطلع عليه الناس : أنك مستقيم ؛ صلاة ، صوم ، حج ، زكاة ، لكن باطنك قد يكون : الحسد ، الكبر ، الحقد ، الضغينة هذه كلها من بواطن الإثم ، إذاً أنت مؤمن يجب أن يأتي عملك مصداقاً لقولك بالضبط ، يجب أن تكون موحداً ، ليس لك ظاهر وباطن ، وليس لك سريرة وعلانية ، ولا موقف معلن وآخر غير معلن ، وبكلمة موجزة ليس لدى المؤمن ازدواجية ، فأنت مؤمن يجب أن تأتي أفعالك كلها مصداقاً لأقوالك ، إذا أردت أن تكون بالمستوى اللائق الراقي يجب عليك أن تكون أفعالك كلها مصداقاً لأقوالك ، هذا شيء أول .

أما الشيء الثاني فيجب أن يأمنك الناس :

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **وَاللهِ لا يُؤْمِنُ وَاللهِ لا يُؤْمِنُ وَاللهِ لا يُؤْمِنُ** » قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « **الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ** » [صحيح البخاري] .

هناك أشخاص مخيفون ، فإذا تكلمت كلمة مؤذية لمسامعهم مثلاً فلن تنام الليل خوفاً من عاقبتها ، ولابد للمؤمن من أن يكون مصدر أمن ، فلا يأتيك من طرفه ضرر أو أذى أو مكيدة أو غدر أو قنص . . . أبداً ، فهو مصدر أمان ، تنام ناعم البال ، مطمئن النفس ،

مرتاح الضمير ، حتى ولو زلت قدمك أمامه ، ولو تكلمت بكلمة غير لائقة أمامه فلن يتخذ منك موقفاً ، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى :

« **يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر بيدي الأمر ، أقلب الليل والنهار** » [متفق عليه عن أبي هريرة] .

ومع ذلك تجد الناس يعصونه جهراً وهو يسترهم ، والعبد ينسى ، وربي لا ينسى ، يعصونه جهراً ويسترهم ويرزقهم ويحفظهم ، وهذا شأن الله مع عباده ، وأنت أيها القارئ الكريم مؤمن فأول صفة من صفاتك أنه ينبغي أن يأتي فعلك مصداقاً لقولك ، وأن تلغي من حياتك الازدواجية : الظاهر والباطن ، العلانية والسريرة ، أن تكون في جلوتك كخلوتك ، أجل هذا هو المعنى الثاني : أن يأمن جانبك الناس كلهم .

فمثلاً زَوَّجْتَ ابنتك لمؤمنٍ فلا تخاف أن يجيع ابنتك ، ولا تخاف أن يظلمها ، ولا تخاف أن يفضحها ، ولا تخاف أن يضربها ، المؤمن لا يأتي من جانبه إلا كل خير ، إنْ شاركتَ مؤمناً فأنت مرتاح مطمئن ، لا تخاف أن يتلاعب بالحسابات ، ويزور لنفسه حساباً خاصاً ، يعقد صفقة من وراء ظهرك ، لا تخاف ، أصلحت جهازاً عند مؤمن فلا تخاف أن يبدل هذه القطعة بقطعة أخرى وأنت لا تدري ، يأخذ القطعة الجيدة ويعطيك قطعة رديئة ، يخدعك ويغشك ، إن المؤمن مأمون الجانب في صنعته ، في حديثه ، في عمله ، في مهنته ، في حرفته ، في زواجه ، في شراكته ، هكذا المؤمن يكون مأمون الجانب .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » [سنن الترمذي] .

لاتخشَ أن ينكر عليك المبلغ ، إذا ائتمنته عليه ، أو أقرضته إياه ، ولا يخطر لك هذا في بالٍ أبداً ، لا تخشى أن ينكرعليك مالك أو يخفر ذمته نحوك ولو لم يكن معك إيصال ، فذمته أمينة مصونة ، إذ يخاف الله عز وجل ، إذاً أنت كمؤمن تؤمن بقوله تعالى :

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الحشر : ٢٣] .

فالله مصدر أمان للعباد في أفعاله ، وفيما أعد لهم في الآخرة ، قال تعالى :

﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴾ [الحجر : ٤٨] .

فأنت مؤمن ، إذا ذكرت لك جهنم على مسمعك ، أو وُصِفت لك فإنك تتقيها بالتفكر وبالعمل الصالح ، وبطاعة الله عز وجل ، وفي الإقبال عليه خدمة للخلق ، وبالبذل والتضحية والإخبات ، والخوف ، والرجاء مما يجعلك في منجاةٍ من عذابها إن شاء الله .

وكذلك المؤمن مأمون الجانب ، جارك يطمئن لك ، من يعاملك يطمئن لك فتنصحه ، لا تكذب عليه ، ولا تغشه ، أتعطيه الحاجة وقد انتهى مفعولها وزورت التاريخ ؟ لا ، أنت مأمون ، الأنبياء مأمونون على رسالة السماء ، والمؤمن مأمون على ما ائتمن به ، ابنتك أمانة عندك ، زوجتك أمانة ، أولادك أمانة ، وهكذا ، لكن الشيء الذي أتمناه عليك عزيزي القارئ أن تبادر فتدعو الناس إلى الله عز وجل ،

بحيث يأمنوا عذابه يوم القيامة ، ولتعلم أن هذه صنعة الأنبياء ، وهذا أعظم أمن ، فأعظم عمل ترجو ثوابه عند الله تعالى أن تحول بين الناس وبين عذاب جهنم ، بأن تعرفهم بالله عز وجل ، فإذا عرفوا الله واستقاموا على أمره وعملوا الصالحات كان نهجك نهج الأنبياء وكنت المؤمن حقاً ، وهذه هي صنعة الأنبياء كما نوهت من قبل فتكون سبباً لنجاة الناس من النار ، واعلم أنهم إذا استقام إيمانهم ، واستقامت أمور آخرتهم على ما ذكرنا ، استقام لهم أمر دنياهم وسعيهم فيها .

إن الله عز وجل هو المؤمن وسمّى عباده الطائعين مؤمنين وهذا شرف لهم وفي ذلك فليتنافس المتنافسون وحسبك قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ .

هو ملك الملوك ، ومع ذلك سمح لك أن تسمي نفسك مؤمناً ، وهو المؤمن ؛ مؤمن بذاته أولاً ، ثانياً تأتي أفعاله كلها مصدقة لأقواله ، فأنت إذا قرأت القرآن لا تخشى المفاجآت ولا تخشى أن تأتي الأحداث خلاف القرآن فتنفضحَ أمام الناس ، لا ، إنك لا تخشى إذا اعتقدت بما قاله الله عز وجل أن تأتي حقيقة علمية في المستقبل تكشف لك خطأ هذه الآية ، أعوذ بالله ، هذا شيء مستحيل ، لأن الله عز وجل مؤمن ، أفعاله تأتي مصداقاً لأقواله .

المعنى الثالث : يهبك الأمن : إنْ في حواسك ، وإن في أجهزتك ، وإن في أعضائك ، إن في طعامك وشرابك ، حتى في الهواء ثبات ، وهو شيء ثمين موفور ، إن في ثبات خصائص المواد ، إن في ثبات طريقة النبات ، إن في بنية الأشياء ، إن في عملها بل وفي كل شيء ، وقال سبحانه :

﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر :٤٩] .

وبعد فأنت لأنك مؤمن لابد من أن تأتي أفعالك مصدقة لأقوالك ، ويجب أن يأمن الناس جانبك ، أي أنت مأمون فلا مفاجآت من قبلك ، ولا غدر ولا إيقاع ولا خيانة .

نسمع كل يوم آلاف القصص عن غدر الناس بعضهم لبعض ، كما نسمع مئات القصص عن خيانة الشركاء لشركائهم ، وعن خيانة الأزواج لزوجاتهم أو بالعكس ، وعن أفعال يندى لها الجبين ، وعن مقالب وغدر وإيقاع الأذى ، فليس هذا من أخلاق المؤمن ، لأن المؤمن جانبه مأمون .

عَنْ أَبِي شُرَيْحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **وَاللهِ لا يُؤْمِنُ وَاللهِ لا يُؤْمِنُ وَاللهِ لا يُؤْمِنُ** » قِيلَ : وَمَنْ يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : « **الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ** » [صحيح البخاري] .

وبعد ، فلا بد من سؤال وجيه يطرح نفسه : كيف نوفق بين اسم المؤمن ، وأن الله سبحانه وتعالى يقذف الخوف في قلوب العباد ، هو مصدر أمن للخلق ، وفي الوقت نفسه قد يملأ قلوبهم خوفاً ؟!

﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [القصص : ٢١] .

وجواب ذلك دقيق جداً ؛ فالإنسان إذا أمن اطمأن للدنيا ، ونسي الله عز وجل ، وركن إليها ، فأعجبه ماله ، وأعجبته قوته ، أعجبته مكانته ، وأعجبه عيشه ، وشعر أن الدنيا مديدة ، وأنه في مركز قوي ، وبذا فقد أمن دنياه ، واطمأن لها ، وعاش في غفلة عن آخرته ، فما علاجه ؟ أن يقذف الله في قلبه الخوف ، فإذا خاف هذا العبد التجأ إلى الله عز وجل ، ونجا من غفلته ، فهو يخيفك كي

يؤمنك ، ويفقرك كي يغنيك ، ويمنعك كي يعطيك ، ويضرك كي ينفعك ، ويُذِلّك كي يعزّك .

وبعد ، ففي الفقرة السابقة إشارة إلى أسماء الله المزدوجة ، ولقد قال العلماء فيما يتعلق بأسماء الله عز وجل المزدوجة : لا ينبغي إلا أن تذكر مثنى مثنى ، فمثلاً قالوا : ابتلاك ببعض صحتك ، وأسقمك ليرحمك بعافيته ، قال أبو الطيب :

لعـل عتبـك محمـود عـواقبـه وربما صحَّت الأجسام بالعلل

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ :

« إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا بْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي ، قَالَ : يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، قَالَ : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ. . . . » [صحيح مسلم] .

فإن أخذ بعض صحتك فذلك ليعوضك عما أخذ منك بشيء من رحمته ، تزور المريض المؤمن فتجد نفسه صافيةً جداً ووجهه متألقاً ، إنه قريب من الله عز وجل ، أسقمه قليلاً ، وأعطاه الرحمة بديلاً ، فيأخذ ليعطي ويبتلي ليجزي ، يضرُّ لينفع ويذل ليعز ، ويخفض ليرفع ، ويمنع ليعطي ، ويخيف ليطمئن ، فإذا ابتعد الإنسان عن ربه ، وشرد عن شرعه امتلأ قلبه خوفاً ، وهذا الخوف هو الدافع هو الذي يدفعه إلى العودة إلى رحاب الشرع ومحجة الإيمان .

إذاً أريد منك أيها القارئ الكريم أن تجمع بعض الآيات الكونية عن خلق الإنسان ، وعن خلق الحيوان ، وعن خلق النبات مما يبعث الطمأنينة في القلب ، بعد إدراك ما فيها من إشارة إلى قدرة الله عز

وجل ؛ بحيث توقظ فيك مواطن الاعتبار والاتعاظ فتزداد إيماناً « بالمؤمن » .

وأنا أرشد القارئ الكريم إلى أن هذه الأسماء الحسنى ما هي إلا تعاريف وهي بذلك موضوعٌ صغير جداً ، وأمّا كأدلة عليها من الكون فهي موضوع كبير جداً ، موضوع له آفاق واسعة لا تنتهي ، لأن الكون كله يؤكد أسماءه الحسنى .

وإذ أختم هذه المطالعة لهذا الاسم « المؤمن » فإليك هذه الخلاصة : الله مؤمن ؛ يعرف ذاته ، وأفعاله تأتي مصدقة لأقواله ، فأنت إذا آمنت بالله ، وقرأت كتابه لن تفاجأ بحوادث مخالفة لما في كتابه ، الشيء الثابث يهبك الأمن من خلال خَلقه ، ومن خلال أفعاله ، فأنت مؤمن ينبغي أن تكون على صفتين ، أولاً : أن تكون أفعالك مصدقة لأقوالك ، وثانياً : أن يأمن الناس جانبك . وإذا رأيت نقيض الأمن وهو الخوف ، فهو يخيفك كي يؤمنك ، يأخذ منك ليعطيك ، يخفضك ليرفعك ، يذلك ليعزك ، وهكذا فكل أمرِك عنده عاقبته إلى خير .

* * *